

المحاضرة
الخامسة
علوم القرآن 2
"الحكم والمتشابه- الجزء الأول"

•مدخل:

أن القرآن الكريم يتنوع أسلوبه من موضع لآخر حسب ما يقتضيه الحال غير خارج عن المؤلف من كلام العرب، توخيا للإعجاز، نجد في أسلوبه الإيجاز والإطناب، والإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، الإطلاق والتقييد.
وإذا نظرنا إلى الصحابة حيال هذه المعاني نجدهم متفاوتين ذهنيا في فهمها وبيان المراد منها، منهم من كان يعرف دقيق المعاني كابن عباس رضي الله عنه، ومنهم من كان دمن ذلك.

•ومن معاني القرآن الكريم ما هو ظاهر الدلالة، واضح المعنى، ومنه ما خفيت دلالاته، وغمض معناه. وتدبر العلماء في معاني الآيات القرآنية ودرسوا هذين النوعين في باب المحكم والمتشابه.

•وينقسم المحكم والمتشابه إلى قسمين:

•الأول: الإحكام والتشابه العام.

•الثاني: الإحكام والتشابه الخاص.

•أولا: الإحكام والتشابه العام:

•أ- الإحكام العام:

•معناه:

•الإحكام بكسر الهمزة له معان متعددة ترجع كلها إلى معنى واحد. هو "المنع" عن الفساد ولا

يعتبر المنع عن الإصلاح إحصاء بل هو خاص بالمنع عن الفساد ومنه:

•قولهم: أحكم الأمر؛ أي أتقنه ومنعه من الفساد.

•وقولهم: أحكمه عن الأمر؛ أي منعه منه.

•ومنه الحاكم، لأنه يمنع الظالم ويفصل بين المتخاصمين .

•وقولهم: حكم نفسه وحكم الناس؛ أي منع نفسه ومنع الناس عما لا ينبغي.

•وقولهم: أحكم الفرس أي جعل له "حكمة" وهي ما أخط بالحنط من لجام الفرس "تمنعه" من الاضطراب.

•وقول جرير:

•أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم ... إني أخاف عليكم أن أغضبا

•ومنه سميت "الحكمة" وهي إصابة الحق قولاً وفعلاً. (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)
•وعلى هذا فالقرآن الكريم كله محكم؛ أي متقن يمتنع عنه الخلل والنقص في ألفاظه ومعانيه، ولهدايته إلى الحق والطريق المستقيم: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}.

•**دليله:** وردت آيات كثيرة تصف القرآن الكريم كله بأنه محكم منها قوله تعالى: {الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} وقوله تعالى: {الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَرَبِيًّا} {ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ}.
•{الم، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} {يَس، وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمِ} وغير ذلك. {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ}

•ب- التشابه العام:

•**دليله:** قوله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا}.
•**معناه:** التشابه في الأصل هو التماثل بين شيئين فأكثر حتى يشق التمييز بينهما، (أي الأشياء متحدة الصفات)
•ثم أطلق بعد ذلك على كل ما فيه غموض والتباس في تحديد معناه أو حقيقته.
•ومن الأول: قولك فلان يشبه فلاناً؛ أي يماثله ويقاربه، سواء كان في الصفات الحسية كالجسم أو الوجه، أو في الصفات المعنوية كالأخلاق والآداب.

•ومن الثاني: قولهم "شبه عليه الأمر" إذا التبس، وقولهم "فلان مشبوه" إذا التبست براءته من الجريمة باقترافه لها.

•"وذلك أن التشابه والتماثل قد يكون سبباً للعجز عن التمييز بين الأشياء متشابهاً من باب إطلاق السبب على المسبب".

•ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى: {وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا} أي يشبه بعضه بعضاً، وقوله عن بني إسرائيل: {إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا} أي اختلط أمره علينا والتبس المقصود منه، وقوله سبحانه: {تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ} أي تماثلت في الغي والجهالة.

•ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: "إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه" الحديث أي أمور تشبه على كثير من الناس هل هي من الحلال أم من الحرام.

• وعلى هذا فقله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} أي يشبه بعضه بعضاً في الفصاحة والإعجاز وعدم تناقضه، وإبداع ألفاظه، واستخراج حكمه، وفي التواتر، وصدق الحديث والأخبار، وفي إعجازه التشريعي هو من هذه الناحية يشبه بعضه بعضاً، ولا يختلف عن بعض في شيء، لأنه من لدن حكيم خبير {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً} [النساء: 82]

• وهذا هو التشابه العام بين آيات القرآن.

• أقسام التشابه بمعناه العام:

• هو الذي يقوم على التماثل بين الآيات، وهو نوعان:

1- وهو الذي يقوم على إيراد المعاني بألفاظ متماثلة، أي: أن تتكرر ذات التعبيرات والتراكيب في مواضع من القرآن الكريم، من أمثله قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) حيث جاء في موضعين من القرآن الكريم، أحدهما في الآية 77 من سورة الحجر، والآخر في الآية 44 من سورة العنكبوت.

ومنه قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) حيث جاء في ثلاث سور من القرآن الكريم، آل عمران، والمائدة، ولقمان.

2- وهو الذي يقوم على إيراد المعاني بألفاظ متقاربة: أي أن تتكرر بعض التراكيب أو العبارات في أكثر من موضع، مع تغيير بعض الكلمات، أو حذفها، أو تقديمها، أو تأخيرها... الخ.

• ومن أمثله: (فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ) البقرة: 60 مع قوله تعالى: (فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ) الأعراف: 160.

• ومنه قوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) البقرة: 193 مع قوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) الأنفال: 39 إلى غير ذلك من الأمثلة.

• هذا النوع من التشابه اعتنى به العلماء عناية فائقة، أمثال الزركشي الذي دونه تحت النوع الخامس، وسماه "علم التشابه" ودونه السيوطي تحت النوع الثالث والستون.

يبد أننا نقول هذا النوع من التشابه الذي يقوم التماثل والتطابق ليس الذي نعينه في دراستنا "للمحكم والتشابه"، إنما نقصد النوع الآخر من التشابه الذي يقوم على الالتباس، وهو ما يعرف بالتشابه الخاص.

• ثانياً: الإحكام والتشابه الخاص:

• وإذا كان القرآن الكريم كله محكماً بمعنى: أنه متقن لا يتطرق إليه الخلل والنقص، وهو كله متشابه بمعنى: أن آياته يشبه بعضها بعضاً في الإعجاز والفصاحة، فإنه قد وردت آية قرآنية تصف القرآن بأن بعضه محكم وبعضه متشابه، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}، فلا بد أن يكون للإحكام والتشابه هنا معنى غير المعنى الأول، وهو خاص ببعض الآيات دون بعض، ولهذا وقع الاختلاف بين العلماء في تعريف المحكم والتشابه هنا.

• أقوال العلماء في المحكم والمتشابه:

• للعلماء في تعريف المحكم الخاص والمتشابه الخاص أقوال كثيرة منها:

• الأول:

• المحكم ما عرف المراد منه، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وخروج الدجال،
والحروف المقطعة في أوائل السور، وينسب هذا القول إلى أهل السنة.

• الثاني:

• المحكم ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا، والمتشابه ما احتمل أكثر من وجه وهو قول الأصوليين،
ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما.

• الثالث:

• المحكم الذي يعمل به، والمتشابه الذي يؤمن به، ولا يعمل به، وروي هذا القول عن ابن
عباس رضي الله عنهما - وعكرمة وقتادة.

• الرابع:

• المحكم هو ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه ما لا يستقل بنفسه ويحتاج إلى بيان،
وهو قول الإمام أحمد.

• الخامس:

• المحكم ما اتضح دليله، والمتشابه ما يحتاج إلى تدبر، كقوله تعالى: {وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} فأولها محكم، وآخرها متشابه، وهو قول
الأصم.

• السادس:

• المحكم ما تضمن حكمًا، والمتشابه ما تضمن أخبارًا وقصصًا.

• السابع:

• المحكم هو الناسخ، والتشابه هو المنسوخ، وهو قول ابن عباس إلى ابن مسعود، ومجاهد،
وقتادة.

• الثامن:

• المحكم ما كانت دلالاته راجحة كالنص، والظاهر، والمتشابه ما كانت دلالاته غير راجحة؛ أي
أن دلالة اللفظ عليه وعلى غيره متساوية كالمجمل والمثول والمشكل.

“

اسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد
أخوكم المهاجر